"مدرسة تعرف مكان #كورس رسم لفنون تطبيقية ؟"

مقال ل فريدة مكار
باحثة في شؤون التعليم والثقافة في وحدة أبحاث القاهرة والمجتمع
ومحاضرة عن تاريخ التعليم في قسم التاريخ بالجامعة الأمريكية

لا نعرف الشخص الذي قرر أن يرسل هذه الرسالة عبر مواقع التواصل الاجتماعي على صفحة «جميع الكورسات في مصر» منذ بضعة أشهر. كما أننا لن ندعي معرفة الأسباب التي دفعت به أن يكتب تلك الكلمات. هل هو طالب فنون جميلة؟ أم هو انسان خارج اطار المؤسسات الفنية الرسمية يطمح في أن ينمي مهارته الفنية ؟

وماذا عن الشخص الذي يستعلم عن كورسات اللغة الانجليزية؟ والشخص الآخر الذي يستفسر عن كورسات البرمجة؟

لا نعرف شئ عن هؤلاء ولا نعرف أعدادهم ولكننا نعرف انهم جزء من ظاهرة تكتسب جمهور واسع بين الشباب وبالتحديد بين الشباب الجامعي وحديثي التخرج. يكفي فقط كتابة كلمة «كورسات» علي مواقع التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك لكي يتبين حجم ذلك العالم الموازي الذي يقع خارج اطار التعليم الجامعي الرسمي. وجود هذا الكم من المجموعات والصفحات يدل من جهة على ملامح تدهور التعليم الرسمي وخاصة التعليم الجامعي بما في ذلك فقدان هذا النظام لشرعيته كالراعي الأساسي لتعليم رفيع المستوى ذو جودة عالية . ومن جهة أخرى يدل على تعطش الكثيرين الى منابع ومصادر مختلفة للتعلم في ظل انهيارمفهوم الجامعة كما عرفته الأجيال السابقة.

ظاهرة الكورسات تنتشر على خلفية انحدار مستوى التعليم في الجامعة واحساس الكثيرين ان ما يتعلمونه لن يفيدهم فيما بعد ولن يجاوب على الأسئلة الوجودية التي كثيرا ما تلاحقنا في فترة الجامعة. من أنا؟ ما هو هدفي في الحياة؟ هل أحب مادة الكمبيوتر؟ انعدام الثقة في جودة ما تقدمه المؤسسات التعليمية الرسمية وخاصة الجامعة يدفع الآن الكثيرين الى المغامرة بأموالهم،و بوقتهم وبجهدهم والثقة في جهات قد تكون غير معتمدة لكي تقدم لهم المعلومات، والمعرفة والتجارب التي قد تساعدهم على تجاوز واقعهم الأليم والذي يتلخص في أن ٧٠٧٪ من البطالة في مصر بين حاملي الشهادات و ٣٠٫١٪ منهم من خريجي الجامعة. والمقلق فيما يخص الكورسات أنها تستغل وضع الشباب الهش ومخاوفهم المشروعة تجاه مستقبلهم لتسويق منتجاتهم والتي كثيرا ما تصب في مصلحة الخطاب النيوليبرالي الذي يعزز من نوع من المعرفة على حساب أنواع أخرى. فنجد مثلا أن أغلبية الكورسات المعروضة على شبكات التواصل الاجتماعي تكون في مواد لها علاقة بالتسويق ومهارات القيادة، والادارة وريادة الأعمال والتنمية البشرية. وكثير منها أيضا لتعلم اللغة الانجليزية والكمبيوتر. وهنا نرى التشابك بين الانتقادات التي توجهها طبقة رجال الأعمال والمنظمات الدولية على سبيل المثال تجاه التعليم المصري من جهة. والتي تتلخص في أن خريجي الجامعة «ليست لديهم المهارات المطلوبة لسوق العمل» وبين ظاهرة الكورسات من جهة أخرى.

فالكورسات هدفها أن تسد الفجوة التي يتركها النظام التعليمي الجامعي بتزويد الشباب بالمهارات التي» تنقصهم» لكي يلتحقوا بسوق العمل في مجالات معينة. ليس بالغريب اذن أن صاحب سؤال: حد يعرف مكان كورس رسم لفنون تطبيقية؟ قابلته أجوبة من نوعية: «لكل خريجي وطلبة الصيدلة والطب البيطري والعلوم نؤهلك للعمل بالتسويق والمبيعات بكبرى شركات الأدوية».

والهدف هنا ليس نقد المحتوى الذي تقدمه تلك الكورسات بل هو التوقف أمام الظاهرة. فبعيدا عن المخاوف المشروعة المتعلقة بانسحاب الجامعة من ساحة التعليم، وانهيار التعليم العالي، وسيادة نوع معين من المعرفة، فدعونا نتأمل جمال اللحظة بكل ما تحمله من شغف، مثابرة، حب استطلاع ومغامرة. فبالرغم من ضيق الأفق وقسوة الحياة نحن نقف أمام جيل من خريجي الجامعة يسعى وراء التعلم بعد التخرج.

عن الجامعة الشعبية الحرة

يوم ٢٦ مايو ١٩٠١ انتحت الجامعة الشعبية الحرة من قبل مجموعة متنوعة من المصريين واليونانيين والطليان في الاسكندرية. كان الهدف من الجامعة هو «تحسين قيم الأفراد عن طريق تقوية ارادتهم النشطة وفطرتهم الحميدة وتنمية قوة الحق والضمير الكائنة بداخلهم لكي ينطقوا الحق ويتجهوا للحرية وتنمية ذكائهم وقيادة وجدانهم وأرواحهم نحو مجتمع عادل علاقة الأفراد به مترابطة وقوية.» كما كانت تهدف نشرثقافة العلوم والآداب بين الطبقات الشعبية ايمانا منها بالتحرر الثقافي للانسان المبني على مبدأ الحق في التعليم. بعيدا عن السياق اليوتوبي الذي نشأت فيه الجامعة ومع الاختلاف الشديد في اللحظة التاريخية الا انه هناك تشابه ملموس بين ما نقرأه عن بوادر تلك الجامعة الحرة وعن كم الشغف الذي استقبلت به عند نشأتها وبين التعطش الى العلم الذي نجده عند شريحة كبيرة من الشباب اليوم. كانت الجامعة الحرة مفتوحة للجميع وكانت تهتم بالأخص بالطبقة العمالية. كما أنها كانت مبنية على الاشتراكات فخلقت مجتمع متعاون يشارك فيه الجميع حسب امكانياته. والجدير بالذكر أن الجامعة الحرة فتحت أبوابها للمرأة منذ البداية وكانت هيئة التدريس تتطوع بوقتها ولا تتقاضى أجر مقابل عملها. أما عن الدروس والحصص فشملت مختلف التخصصات منها الآداب والأحياء والفيزياء والعلوم وقانون الطب. ودروس اللغة العربية ولغات أجنبيةأخرى. يقال أن يوم الافتتاح شهد حضور حاشد مكون من ٣٠ فرد وأنها اجتذبت اليها أفراد من مختلف الاهتمامات والطبقات والجنسيات .والأهم من كل ذلك أن الجامعة نشأت في سياق تاريخي محروم من مؤسسات التعليم العالي عامة وداخل مجتمع لم تتاح له الفرصة أن يحتك بمساحات تقدمية تهتم بتعليم الفئات المجتمعية المهمشة. أو-بمعنى آخر-كانت هناك فرصة ذهبية في ظل غياب مؤسسات التعليم العالي لخلق مساحات تعلم بديلة للأزهر ومدرسة المعلمين العليا ودار العلوم حتى استطاعت الجامعة الحرة أن تنشئ فرعا في مدينة القاهرة بعدها ببضعة أشهر. لم يستمر مشروع الجامعة الحرة طويلا سواء في الاسكندرية أو في القاهرة ا فبحلول عام ١٩٠٢ بدأت الصراعات الداخلية والمشاكل المالية تهدد الطابع التقدمي الذي أسست عليه الجامعتين وبدأت عناصر محافظة تسيطر على اللجنان المركزية التي كانت تدير الجامع حتى اختفت ملامحها من ذاكرتنا التاريخية.

عن سيلاس

يجلس الطلبة حول مائدة مستديرة في غرفة ذات سقف عالي وأثاث مهج ومريح. السجاد ملون والحوائط لونها هادئ. الأبواب الكبيرة لونها أخضر وأزرق ورمادي. رائحة التوابل تسيطر على الغرفة منبثقة من محلات العطار أسفل العقار.درجة الحرارة معتدلة وتكاد لا تسمع الا صوت الروحة الخافت. مرحبا بك في سيلاس.

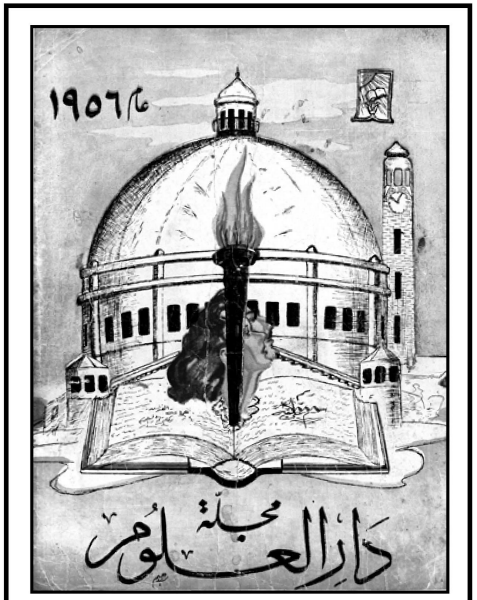
سيلاس برنامج تعليمي في الدراسات الحرة انشئ في عام ٢٠١٣. يبدأ العام الدراسي في شهر سبتمبر من كل عام وينتهي في شهر مايو. يأتي الطلاب من أنحاء المدينة المختلفة سعيا وراء اجابة على تلك الأسئلة الوجودية التي نادرا ما يعطينا النظام الجامعي المصري اجابة لها.

البرنامج متكامل الأركان ففيه حصص أدب وفلسفة، وغيرها من العلوم الانسانية والفن ويتعرف من خلاله الطلبة على تاريخ النهج العلمي في البحث كما أنه يحتوي على حصص عملية مثل الطهي أو الزراعة. طريقة التدريس مبنية على فكرة النقاش واطلاق الحرية للمشاركين أن يديروا النقاش في الاتجاه الذي يريدونه فهي عملية تشاركية تحاول خلق مجتمع يتعلم أفراده سويا. قد يرى البعض تشابه بين سيلاس وبين الجامعة الشعبية الحرة التي نشأت واختفت منذ أكثر من ١٠٠ عام. بالفعل من الممكن أن نتحدث عن تشابه في المنهجية وفي الجو التشاركي الذي امتازت به الجامعة الحرة وفي بعض الأهداف خاصة اذا نظرنا الى الظروف المحيطة بنشأة المساحتين وانعدام الثقة في مؤسسات التعليم العالي اليوم.

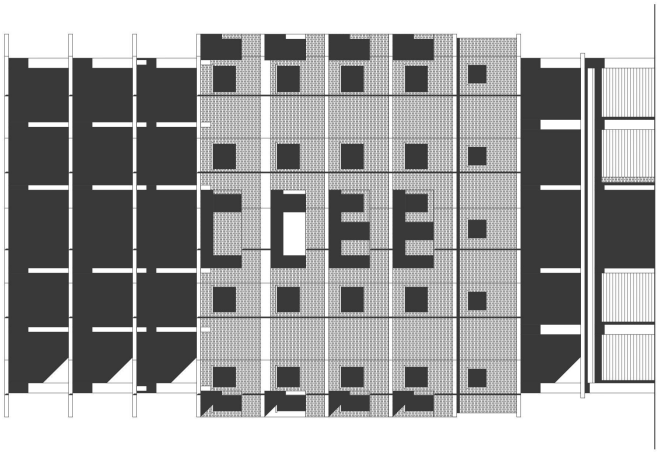
ولكن سيلاس يختلف عن الجامعة الحرة بحكم اللحظة التاريخية التي نشأ فيها. وجودنا في القرن ال ٢١ يعني أننا نحظى بتراكم معرفي يعطينا فرص كبيرة لابتكار مساحات تعلم فعالة وجميلة. نعلم الآن أن المساحة أو الحيز المادي التي تتم في اطاره العملية التعليمية يؤثر على جودة التعليم. السقف العالي والمساحات المفتوحة مريحة للعين وتنمي قدرتنا على التخيل البصري.نعلم أيضا أن الاضاءة الطبيعية الجيدة تؤدي الي زيادة التركيز ولحالة صحية أفضل للطلاب.الألوان الهادئة تؤدي الى الشعور بالراحة والألوان المبهجة تحفز الذهن.كما نعلم ان درجة حرارة المكان مهمة وأن الأصوات المحاصرة أيضا مهمة وأن راحة الطالب في المكان تعزز من امكانيته على التعلم. ولكننا نعرف أيضا الكثير عن سبل التعلم والتدريس. فالحكي وسيلة ناجحة لتوصيل المعلومات. واشراك الطالب في النقاشات بل وفي صنع القرار داخل اطار العملية التعليمية له أثار ايجابية على تفاعله وتقدمه. ونعرف أن الانسان يتعلم بصور مختلفة وفقا لاحتياجاته ووفقا للحظة التي يتواجد فيها.

على خلفية هذا التراكم المعرفي في مجال التعليم نجد سيلاس وغيره من المؤسسات والمبادرات الشبيهة التي تحاول خلق مساحات تعلم بديلة. هي مساحات يلجأ اليها الشباب بذات الشغف الذي نراه في اقبالهم على الكورسات ولكنها مساحات تقدم فرص للتعلم قائمة على مبادئ التشاركية هدفها اطلاق تلك النقاشات الهامة التي تؤثر فينا على أعمق المستويات. وهي أيضا أماكن تهتم بالساحة التي تتم فيها العملية التعليمية وبراحتنا النفسية والجسدية وبالبهجة والألوان.

هذه الأماكن تنشئ ما هو أشبه بالتعاونيات العلمية المبنية على المشاركة والراحة واكتشاف الذات والآخر. وهي مساحات في الأول وفي الآخر- جميلة. دعها تلهمك.. وارسمها في المرة القادمة التي تلتحق فيها ب #كورس الرسم للفنون التطبيقية...



مقاومة - صلة - مرونة
Resistance – Relevance – Resilience



angelil.arch.ethz.ch

Master of Advanced Studies Urban Design
Housing Cairo: The Informal Response
Publication Forthcoming December 2015 with Ruby Press